الإرهاب وإشكالية العمل الإعلامي

د. تمّار يوسف
ـ جامعة الجزائر ـ

الإرهاب ظاهرة قديمة نجد لها آثارا بارزة في تاريخ الأمم والشعوب، حتى أننا قد لا نجد تاريخا لأي أمة لم يسجل أفعالا تدخل بطريقة أو بأخرى تحت وطأة الإرهاب، فهذه البرديات المصرية تخبرنا عن وقائع وأوجه الرعب والذعر والعنف الناجم عن صراع دموي بين أحزاب الكهنة وغيرهم من أنصار أفكار معينة، وعلى هذه الشاكلة ولأغراض مختلفة، رسم الإرهاب محطات عديدة من تاريخ الأمم، انطلاقاً من الثورة الفرنسية عام 1789م حيث اعتبرت غداة اندلاعها، الإرهاب نظام حكم، وترتب على حكومة الإرهاب ما أصبح يسمى بعهد الإرهاب الفرنسي، وعليه فإن مصطلح الإرهاب أصبح له مغزى سياسي منذ ذلك الحين.

ويُعَدّ فشل الثورة البولندية عام 1830م بمثابة إشعال النار في قلب الفوضوي باكونين حيث رفع شعارا في إحدى مجلات الهيجليين يقول فيه: «إن عاطفة التخريب والهدم عاطفة خلاقة»(1).

ظهر الإرهاب المنظم حسب لاكور Laqueur في النصف الثاني من القرن 19، وأوائل القرن 20، إذ شهدت كل أطراف المعمورة وما تزال تشهد أعمال عنف منظمة تحركها بواعث متنوعة سواء كانت عرقية أو عنصرية أو سياسية، وترتكب ضد الحكومات أو الأنظمة القائمة(2).

هناك آراء عديدة اتفقت على أن للإرهاب محتوى سياسيا، فأعمال العنف من ذلك الصنف لا تكون لدوافع ذاتية أو لمصالح شخصية، وإنما العمل الإرهابي غالباً ما تأخذ أحداثه طابعاً دراماتياً يهدف إلى جذب انتباه أكبر قدر ممكن من وسائل الإعلام والرأي العام، ومن ثمّ فإن الهول والفزع الذي تخلفه الأعمال الإرهابية لدى أكبر عدد من المواطنين، يأخذان بعداً إعلامياً كبيراً(3). فكيف يمكن للإعلام بمختلف وسائله أن يكون سلاحاً ناجحاً في مواجهة هذه الظاهرة؟. قبل ذلك كان ولا بد أن نوضح الإشكالية التي يطرحها هذا المفهوم، حتى يمكن أن نفهم طبيعة التناول الإعلامي المختلف.

إشكالية المفهوم

جاء في تقرير مختصر عن جهود وإنجازات مجلس وزراء الداخلية العرب في مجال مكافحة الإرهاب والمنعقد بالجزائر عام 2000، أن الإرهاب هو مصطلح كثيرا ما تناقلته وسائل الإعلام المختلفة وتداولته المجتمعات والأفراد، إلا أنه ما يزال مصطلحاً يكتنفه بعض الغموض، وتتضارب حوله الآراء والأفكار. وقد باءت بالفشل المحاولات التي بذلتها الأمم المتحدة في الثمانينات، لعقد مؤتمر دولي لمناقشة وبحث هذا الموضوع، كما أنه بسبب تناقض الآراء واختلاف وجهات النظر، لم تتمكن اللجنة المعنية بملف الإرهاب الدولي في ذات المنظمة، من التوصل إلى تعريف موحّد لمفهوم الإرهاب، إذ إن ما تعتبره دولة ما عملاً نضالياً وكفاحاً مشروعاً يجب تأييده ودعمه، يعتبر لدى دولة أخرى عملاً إرهابياً يجب إدانته ومكافحته.

المنارة للاستشارات

المشكل الذي يحمله مفهوم الإرهاب، هو في تحديد الأطراف، فحين يرى المؤتمر الإسلامي مثلا، في المادة الثانية من اتفاقية المؤتمر عام 1999، أنه ينبغي عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول بحجّة مكافحة الإرهاب، ويستثني في ذات الوقت حركات التحرير الوطني من تعريف الأعمال الإرهابية، فإن قرارات مجلس الأمن الدولي، توسع من دائرة هذه الأعمال، وترفض الاستثنائية الواردة في المادة السابقة، فقد ورد في القرار 1377 المؤرّخ في 12 نوفمبر 2000 أن المجلس، «يؤكد رفضه لكل أفعال الإرهاب ووسائله وممارسته، ويعتبرها أفعالا إجرامية لا يمكن تبريرها، وذلك بغضّ النظر عن أسبابها مهما كانت ومظاهرها وكيفما كانت الجهات التي ارتكبتها وأينما ارتكبت»، على نفس الوتيرة صادقت الجمعية العامة لـInterpole قبل ذلك التاريخ، على قرار واحد حدّد فيه مفهوم الإرهاب كالتالي: «نشاطات إجرامية عنيفة تتبناها جماعات منظمة، قصد نشر الرعب والخوف لمحاولة الوصول إلى أهداف مزعومة سياسية»(4).

وعلى هذا الأساس، فقد تمّت عدّة تعديلات على معنى الإرهاب في القوانين الدولية والتشريعات الصادرة عن الأمم المتحدة، ورغم ذلك بقي مفهوم الإرهاب يتجه منهجاً لغوياً أساسه عنف منظم ومتصل بقصد خلق حالة من الرعب والتهديد العام، الموجّه إلى دولة أو جماعة سياسية، والذي ترتكبه جماعة منظمة بقصد تحقيق أهداف سياسية(5).

وما بقي لنا في تلك المتاهات التعريفية لمصطلح الإرهاب، إلا أن نقول إنه عمل يحدّد من خلال انعكاساته وليس من خلال تعاريفه، إذ القضية أرادها غيرنا فلسفية ولكنها إجرامية في المقام الأول. فإذا لم يكن هناك اتفاق حول مفاهيم الإرهاب وأسبابه، فإنه على الأقل يوجد اتفّاق حول نتائجه التي تتشابه في كل المجالات حول الدمار وهدر الأرواح والممتلكات.

إشكالية الإرهاب كمادّة إعلامية

تلعب وسائل الإعلام دوراً هاماً في نشر الخبر وتحليله والمساعدة على فهم ما يقع من أحداث، كما لها دور كبير أيضاً في التأثير على الرأي العام والاتجاهات الفكرية للجمهور المتلقي، وقد يكون هذا التأثير إيجابياً إذا تحلى بالصدق والأمانة والموضوعية، وقد يكون سلبياً إذا أسيء استخدامها وفشلت الرسالة الإعلامية من حيث المضمون، في أداء مهامها المتمثلة أصلاً في التوعية والتربية والتثقيف.

لقد أثبتت عدّة دراسات ميدانية وأخرى نفسية، أن الفرد أكثر ميولاً لوسائل الإعلام المرئية - المسموعة أي التلفزيون، ففي إحدى نتائج سبر الآراء قامت بها إحدى الدوريات الأمريكية تأكد أن التلفزيون جاء في المرتبة الثانية بعد البيت الأبيض من حيث السلطة والنفوذ، بينما جاءت الصحف في المركز السابع عشر، فإذا كان قراء الصحف يعدّون بالملايين في العالم، فإن مشاهدي التلفزيون يعدّون بمئات الملايين، وعلى هذا يبقى التلفزيون من أكثر الوسائل الإعلامية متابعة من طرف الأفراد لما لديه من ميزات تجعله يحتل تلك الرتبة نص + صورة + صوت، إضافة إلى تحقيق التزامن بين وقوع الحدث وبين زمن العرض(6).

يتعمّق تطوّر العنف في المجتمع بالمزايدة والإفراط في عرض الصور العنفوانية، أي المشاهد الأكثر عنفاً ووحشية عبر الشاشات التلفزيون، لأنه يضفي على هذه الحالات الدراما والهستيريا، ولأن من خصائصه هو أنه بإمكانه إعطاء وهم بالمصداقية المطلقة، من خلال تقديم الصورة السمعية - البصرية،

المنارة للاستشارات

والصورة التلفزيونية من حيث المبدأ هي نقل حقيقي وكامل للواقع أو جزء منه.

ولعلّ موضوع الإرهاب، من المواضيع الأكثر حساسية من حيث التناول الإعلامي، فقد اتُهمت في كثير من الأحيان وسائل الإعلام، - بقصد أو بغير قصد - بالتحريض والتضليل ونشر الأفكار المتطرّفة باسم مساحات الحرّية المتاحة، كما اتهم البعض الآخر - الإعلام العربي الرسمي على وجه الخصوص - بعدم القدرة على المواجهة، فقد اعتبره محمد البصري عضو مجلس الأمة الكويتي على أنه «بدون هدف أو رسالة واضحة سياسية كانت أو اجتماعية أو تربوية، أصبح بالتالي بلا لون ولا طعم ولا رائحة وقد فقد ثقة متابعيه وجمهوره ودفعهم للبحث عن المعلومات لدى أيّ جهة توفّرها، ممّا يتمّ استغلاله حاليا من قبل الفضاء الإعلامي المزدحم بالقنوات»(7). في كل هذه الاتهامات يوجد جزء من الحقيقة، فالإرهابي يحتاج إلى الإعلام، ويعتبره سلاحا استراتيجيا لا بد من جذب انتباهه، والإعلام قد يخدم أهداف الإرهابيين بنشر أقوالهم وأفعالهم، وتضخيم قوتهم دون قصد، ليعطي بذلك للإرهاب صدى إعلاميا واسعا، وعلى هذا يصبح الإعلام بمختلف وسائله - خاصة السمعية البصرية منها - دعامة لأعمال الإرهابيين من خلال التطرق إلى أعمالهم بشكل مفرط ونوع من المزايدة، عبر الصور والتقارير والتعليقات الصحفية الموثرة، التي تحقق مصالح مهنية واقتصادية مؤكدة لوسائل الإعلام، ويتحول الإرهاب إلى مادة إعلامية للمتاجرة قصد تحقيق أرباح مادية.

إن الإشكالية في اعتقادنا، تكمن في الوظيفة التي يجب أن يقوم بها الإعلام إزاء الرأي العام، وهي إشكالية طالما تحدث عنها منظرو الإعلام الجماهيري، مفادها هل يجب إعطاء الجمهور ما يريد أو إعطاؤه ما يحتاج إليه؟ في الحقيقة أن هذه الإشكالية ليس لها إجابة وافية قاطعة، فهناك من يرى أن وسائل الإعلام من واجبها إخبار المواطن بكلّ ما يجري في محيطه، وهناك من يرى أن هذا قد تكون له انعكاسات سلبية على نفسية الفرد أو على توجهاته الاجتماعية.

التلفزيون والإرهاب وجدلية التناول

هناك أصوات تنادي بعرض الوقائع الإرهابية - خاصة المصورة منها - حتى يعلم الناس مدى وحشية العمل الإرهابي والإرهابيين، وبالتالي يجد القائمون على مكافحته السند اللازم لدى الرأي العام والتعاون، ومن ثمّة يساهم التلفزيون ببثه لهذه الصور في فضح الإرهابيين وأعمالهم الوحشية التي لا تميّز بين طفل أو عجوز أو امرأة، فجميع شرائح المجتمع مستهدفة دون تمييز، ثمّ عن طريق بث تلك الصور والحقيقة عن الإرهاب، قد يخلق معارضة عند المواطنين وسندا استراتيجيا هاما لمكافحة الإرهاب.

أما البعض الآخر، فهو يرى أن عرض مثل تلك الصور قد يكون له انعكاس سلبي على نفسية بعض الفئات من الناس وتجعل الخوف متغيّرا يجعلهم سلبيين في الحياة العامة بل وقابلين لواقع الإرهاب، علاوة على أن بثّ تلك الصور بكل بشاعتها عمل دعائي قد يستفيد منه الإرهابيون ويجدون في نشر أعمالهم حافزا للمزيد من الأعمال والترهيب، قصد الاعتراف بهم ومعالجة قضيتهم، لأنهم يعتقدون أنهم أصحاب قضية.

في هذا الاتجاه يجد التلفزيون نفسه أمام إشكالية جد صعبة، فإن تعرض للإرهاب كمادة إعلامية عن طريق تقديم الصور وأعمال الإرهابيين، فإنه قد يكون في خدمة الإرهابيين بطريقة غير واعية وغير مقصودة، أما في حالة تجاهل الإعلام

المنارة للاستشارات

للعمل الإرهابي، فإنه يتنكر لرسالته السامية، والمتمثلة في إطلاع الرأي العام على حقيقة ما يحدث من أحداث ووقائع مهما كانت سلبية(8).

لذلك وفي الكثير من الأحيان، اعتبرت وسائل الإعلام السمعية - البصرية، سلاحا ذا حدّين وذلك حسب الطريقة التي يمكن أن يوظف بها، من جهة هي قادرة على معالجة الظواهر التي قد تستفحل في المجتمع (المخدّرات، مكافحة الفساد والرشوة...)، ومن ناحية أخرى كانت وسائل الإعلام هذه، سببا في ظهور بعض الآفات.

ولهذا السبب اقترحت اللجنة الخاصة بموضوع الإرهاب الدولي التابعة للأمم المتحدة على الدول، أن تحصر تغطيتها الإخبارية للأعمال الإرهابية في حدود ضيقة، وذلك لحرمان الإرهابيين من تحقيق هدفهم، المتمثل في الحصول على أكبر دعاية دولية ممكنة لعملياتهم(9).

ونحن بدورنا نحاول وضع بعض الاقتراحات في الكيفية التي يمكن أن تتعامل بها وسائل الإعلام - وعلى رأسها الوسائل السمعية البصرية - مع ظاهرة الإرهاب تجنباً للوقوع في المساوئ الناجمة عن تأثيرات التعامل الإعلامي مع هذه الظاهرة :

- تشجيع المؤسسات الإعلامية على ممارسة دورها في الترويج لثقافة الحوار وإشاعة روح التسامح القائم على الاعتراف بالتعددية الثقافية.

- إيجاد خطة إعلامية عملية مشتركة ومستمرة للتعامل مع ظاهرة الإرهاب، وأن لا يكون هذا التعامل في شكل ردود أفعال مؤقتة لأحداث إرهابية متفرقة.

ينبغي إيجاد نوع من التوازن بين الاهتمام الإعلامي بالإرهاب، وحجم مخاطره على المجتمع، وقد يتأتى ذلك عن طريق تناول الظاهرة في حجمها الحقيقي دون تهويل أو تهوين.

- معالجة إعلامية موضوعية ومعتدلة عند محاولة الكشف عن الإرهابيين وأعمالهم وهذا يتوقف على توفر شرطين أساسيين :

1 - الإسراع في تغطية الحدث وتقديمه في أقرب الآجال، مع توفير المعلومات والبيانات الكافية عنه، هذا الإسراع قد يحدّ من تكوين خلفية يمكن من خلالها تفسير ما حدث، فالالتزام بنشر المعلومات للجمهور في أسرع وقت ممكن، يؤدّي إلى عدم لجوء المواطن إلى القنوات الأجنبية لمتابعة الحدث والوقوف على حقيقته، مع العلم أن هذه القنوات تسعى دائماً إلى تضخيم الأحداث بما يتناسب وأهدافها ووجهة نظرها مما قد يؤدّي بدوره إلى ظهور الإشاعات والبلبلة قصد تغليط الرأي العام.

2 - التحلي بقدر كبير مع الموضوعية والدقة في التغطية الإخبارية للأعمال الإرهابية، فالميول والعاطفة لا تفيد كثيراً في تحديد خطورة الظاهرة وحقيقتها، لذلك يبقى التركيز على أهمية التحقق من صدق المعلومات وموضوعيتها، وتقديم الوقائع بصورة مجرّدة، هو لبّ الإعلام الموضوعي المحايد.

وحتى يتأتى لنا ما سبق من شروط في عملية مكافحة الظاهرة الإرهابية، ينبغي التنسيق بين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة مكتوبة، مرئية ومسموعة لإيجاد الكيفية المثلى والموحّدة للتعامل الإعلامي مع هذه الظاهرة، باعتبارها آفة خطيرة يصعب التحكم فيها إعلامياً.

كما يمكن لوسائل الإعلام إذا توفرت لديها المهنية والأخلاقية، أن تساهم في ظهور جمهور واعٍ يدرك أهمية القضايا المطروحة كقضية الإرهاب، ويقتنع بضرورة المشاركة في معالجتها، وعدم تركها للحكومات وحدها.

المنارة للاستشارات

Résumé :

Le terrorisme est une notion très contre-versée, et depuis quelques années, occupe la une des médias, que ce soit la presse écrite ou l'audiovisuel en font leurs principaux thèmes qui suscitent une véritable «attraction» des lecteurs, auditeurs ou téléspectateurs.

Cependant, beaucoup se sont interrogés sur le contenu ou la signification du terme «terrorisme». Il faut interroger ce terme qui nous est devenu familier et qui est l'un des mots les plus émotiennellement chargés de notre siècle, suscitant à une seule évocation l'angoisse mais aussi la fascination, la condamnation morale en même temps qu'une certaine forme d'attrait.

Mais il s'agit également d'un mot mystérieux, dans la mesure ou personne ne s'accorde sur sa définition.

D'aucuns estiment que «jamais le monde ne s'est montré aussi solidaire face à ses différents problèmes comme il le fait présentement sous la pression exercée par le terrorisme».

L'humanité avec toutes ses composantes de différentes civilisations et cultures n'a jamais accordé une aussi grande importance à un phénomène comme le terrorisme en tentant de le comprendre ou de s'efforcer de le comprendre dans le but d'une compréhension mutuelle.

Ce qui nous intéresse en premier lieu, c'est la façon dont les moyens d'information de masse et notamment la télévision et la radio, contrôlent, gêrent, traitent et diffusent, les informations relatives au sujet du terrorisme, cela pose un problème de couverture journalistique, car pour beaucoup, la TV en traitant le sujet relatif au terrorisme, joue le jeux des terroristes qui ayant besoin d'un canal de propagande, utilise ces moyens pour propager leur idéologie terroriste, en contre partie, rester silencieux sur ce phénomène et ces massacres, c'est priver l'opinion publique de son droit à l'information. Que faire? voilà une question qui demande une étude approfondie sur plusieurs plans.

D. Temmar

الهوامش :

(1) ابراهيم نافع، كابوس الإرهاب وسقوط الأقنعة القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1994، ص 27.

(2) محمد عزيز شكري، الإرهاب الدولي، دراسة قانونية ناقدة، بيروت، دار العلم للملايين، 1991، ص 23.

(3) نصيرة نامي، المعالجة الإعلامية لظاهرة الإرهاب في الجزائر من خلال التلفزيون الجزائري، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، 2004، ص 4.

(4) André Bassard, La criminalité internationale, Paris, Presse universitaire de France, 1988, p. 13.

(5) République Algérienne, Conseil de la nation, commission de la défense nationale, mondialisation et sécurité, Actes du colloque international mondialisation et sécurité, Alger, 4-7 mai 2002, p. 105.

(6) بوريتسكي، الصحافة التلفزيونية، ترجمة : أديب خضور، دمشق، المكتبة الإعلامية، 1990، ص 42.

(7) ندوة (التطرف والإرهاب)، جريدة الشرق الأوسط، العدد 9855، ليوم الاثنين 19 شوال 1426، 21 نوفمبر 2005.

(8) نصيرة تامي، مرجع سبق ذكره، ص 78.

(9) Michel Wieviorika et Dominique Wolton, Terrorisme à la une, terrorisme et démocratie, Paris, Edition Gallimard, 1987, p. 78.

المنارة للاستشارات